١٣

دراسة في اقتصاد الدولة الآشورية في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق. م)

Study in the economy of the Assyrian state
(in the modern Assyrian era (911-612 BC

أ. م. د. أزهار محسن شذر
الجامعة العراقية / كلية الآداب

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

الملخص

يتبين لنا من خلال بحثنا (دراسة في اقتصاد الدولة الآشورية في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق. م) أن الأقتصاد الآشوري خلال هذه الفترة أعتمد على عدة مصادر مثلت الزراعة والثروة الحيوانية المصدر الاول من هذه المصادر باعتبارها مصدر الدخل القومي الرئيسي للبلاد، كما أعتمد الأقتصاد الاشوري على الصناعة وكان في مقدمتها صناعة المنسوجات التي شهدت أزدهاراً في هذا العصر فضلاً عن صناعة المعادن التي أهتم بها الملوك وازدهرت على نطاق واسع في عصر السلالة السرجونية، ومثلت التجارة المصدر الأقتصادي الأكثر أهمية في بلاد آشور لأهميتها في سد النقص الحاصل في المواد الأولية التي تفتقر اليها بلاد آشور كالمعادن والاحجار والاخشاب، وأكد الجانب التجاري على أهم محطات التبادل التجاري المتمثلة بالاسواق، ووسائل التعامل التجاري والتي كان من أهمها الحبوب (الشعير) والمعادن، كما اعتمد الأقتصاد الآشوري على الغنائم والجزية التي كان الملوك الآشوريين يفرضونها على البلدان التابعة لهم والضرائب التي كانت تفرض على الواردات التجارية.

الكلمات المفتاحية: زراعة القطن – قناة سنحاريب – التجارة.

Abstract:

This study deals with of subject The (A Study of the Economy of the Assyrian State in the Modern Assyrian Era (911-612 B. C.), The Assyrian economy during this period relied on several sources, which represented agriculture and livestock as the first source of these sources as the main source of national income for the country. The Assyrian economy also relied on industry, and at the forefront of which was the textile industry, which witnessed prosperity in this era, in addition to the mineral industry that I care about Kings and flourished on a large scale in the era of the Sargonian dynasty, and trade represented the most important economic source in the country of Assyria because of its importance in filling the shortage in the raw materials that Assyria lacks, such as minerals, stones, and wood. The most important of which were grain (barley) and minerals. The Assyrian economy also depended on the spoils and tributes that the Assyrian kings imposed on their subordinate countries and the taxes that were imposed on commercial imports.

Key words: Cotton Cultivation - Sennacherib Canal - Trade.

المقدمة

يمثل الاقتصاد ركيزة مهمة من ركائز اي حضارة انسانية واي مجتمع بشري فهو العمود الفقري للهيكل العام للدولة وهو الاساس الذي تبنى عليه المؤسسات الاجتماعية والسياسية والدينية والعسكرية. ودراسة موضوع اقتصاد بلاد آشور في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق. م) يعد واحداً من المواضيع ذات الأهمية في حضارة العراق القديم لكون الاقتصاد كما ذكرت يمثل إحدى الركائز الاساسية الفاعلة في نمو الامم وتطورها بل انها تمثل أيضاً مرآة تعكس بكل مصداقية ووضوح واقع الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشها المجتمع الآشوري في ذلك العصر، وأصبحت الدولة الأشورية في هذا العصر تحتل مركز الصدارة بين ممالك الشرق القديم سواء من حيث الازدهار الحضاري والاقتصادي أو القوة العسكرية التي برز تأثيرها على الدور السياسي الذي لعبته في المنطقة بأسرها، والمتتبع للتاريخ السياسي لبلاد أشور ولاسيما في العصر الأشوري الحديث يلاحظ كثرة الحملات العسكرية التي شنها الأشوريون على مختلف الجهات، وهذا الأمر دفع بالباحثين إلى وصف الشعب الأشوري بـ (الشعب المحارب) وذلك لدوافع اقتصادية بسبب افتقار بلاد أشور إلى المواد الخام الضرورية في عملية البناء مثل المعادن والأحجار الكريمة والأخشاب المتوافرة في المناطق المجاورة لبلاد أشور لاسيما في الجبهة الغربية المتمثلة بـ بلاد الشام التي كانت مسرحاً للصراع بين الدول ولاسيما الدولة الآشورية التي كانت ترغب في فرض سيطرتها عليها لضمان حصولها على المواد الأولية الضرورية لها، هذا فضلاً عن حصولها على الجزية التي كانت ترسلها الأقاليم التابعة لها في كل سنة.

ومن منطلق هذه الأهمية فقد هدف البحث الى تسليط الضوء على الجانب الأقتصادي الحيوي لبلاد آشور في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق. م). ونظراً لأهمية عرض المعلومات حسب أهميتها ارتينا تقسيم البحث الى عدة فقرات مثلت أهم مصادر أقتصاد آشور في العصر الاشوري الحديث وكانت كالأتي (اولاً - الزراعة والثروة الحيوانية، ثانياً- الصناعة والحرف، ثالثاً - التجارة، رابعاً - الغنائم والجزية، خامساً - الضرائب) مع تقديم توطئة تأريخية عن الموقع الجغرافي لبلاد آشور وأهميته السياسية والاقتصادية، وذكر أهم التطورات السياسية لهذا العصر والحملات العسكرية التي قام بها ملوك الامبراطورية الآشورية بدافع التوسع العسكري والمصالح الاقتصادية للامبراطورية.

توطئة تأريخية:

الموقع والتطورات السياسية للدولة الآشورية.

أولاً: الموقع الجغرافي لبلاد آشور وأهميته.

يجب الا يخفى على الباحث المعني بدراسة تاريخ الحضارات القديمة ما للبيئة الطبيعية والموقع الجغرافي من أثر كبير في قيام حضارة أي بلد وتطوره سواء من من الناحية السياسية أم الاجتماعية أم الاقتصادية، فقد

كان للموقع الجغرافي للعراق القديم بما في ذلك القسم الشمالي منه الذي عرف بعد استيطان الآشوريين فيه منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ببلاد آشور آثره البارز في سير تاريخه الطويل سواء كان ذلك من ناحية ظروفه الطبيعية وحياته الاقتصادية والعسكرية أم من ناحية تركيب سكانه واتصالاته بالأقوام والبلدان المجاورة له [١].

تقع بلاد آشور في الجزء الشمالي الشرقي من العراق[٢]. وقد امتازت الأراضي التي سكنها الآشوريون بخصوبتها، ووفرة مصادر المياه فيها ووجود السهول والوديان الزراعية الكبرى مثل سهلي أربيل وكركوك، وعلى الرغم من اختلاف بلاد آشور في أقسامها الجغرافية من منطقة إلى أخرى من حيث المناخ والتضاريس إلا أنها من ناحية أخرى كانت تشترك بمزايا جعلت منها بلاداً واحدة متميزة في طبيعتها وظروفها المناخية [٣].

هذا وقد لعب الموقع الجغرافي لبلاد آشور دوراً موثراً في توجيه سياسة الدولة نحو الأهتمام بالحملات العسكرية نتيجة لتعرضها في بداية ظهورها على المسرح السياسي إلى أخطار لم تتعرض لمثلها بلاد بابل، لان الدول المجاورة لها كانت تشكل مصدر خطر دائم عليها وهذا ما جعل منها أمة عسكرية تهتم بتدريب المقاتلين لدرء الأخطار عنها[٤]، أضافة الى رغبة ملوك آشور في توسيع رقعة دولتهم من خلال ضم المزيد من الأراضي والمقاطعات البعيدة عنهم، فحاجتهم إلى المواد الأولية الضرورية لبناء دولتهم (كالذهب والفضة والأحجار الكريمة) التي لم تكن متوافرة في بلاد آشور دفعتهم نحو مد نفوذهم والسيطرة على مناطق أنتاج هذه المواد مثل بلاد الشام والاناضول والخليج العربي[٥].

ومن ناحية أخرى فأن الموقع الجغرافي أكسب بلاد آشور أهمية تجارية كبيرة لأنه مكن الآشوريين من السيطرة على أهم الطرق التجارية التي كانت تربط ما بين عيلام والأناضول من جهة وسواحل البحر المتوسط من جهة أخرى، ومن ثم السيطرة على التجارة المارة من تلك المناطق إلى الجنوب (بلاد بابل) وبالعكس [٦].

ثانياً: التطورات السياسية في بلاد اشور خلال العصر الآشوري الحديث(٩١١- ٦١٢ق. م).

(١) الدباغ، تقي، «البيئة الطبيعية والانسان» حضارة العراق (بغداد: ١٩٨٥)، ج١، ص ١٦.

(٢) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (بغداد: دار الوراق للنشر، ٢٠٠٩)، ج١، ص ٥١٩.

(٣) ساكز، هاري، قوة آشور، تر: عامر سليمان، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٩٩٩)، ص ١٥.

(٤) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم وادي الرافدين – بلاد الحثيين – فارس (القاهرة: ١٩٦٣)، ص ٢٤٠.

(٥) شبام كير، إيفا كانجيك، تاريخ الآشوريين القديم، تر: فاروق أسماعيل (دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر، ٢٠٠٨)، ص ٥٠.

(٦) بوستغيث، نيكولاس، حضارة العراق وآثاره، تر: سعيد عبد الرحيم الجلبي (بغداد: ١٩٩١)، ص ١٠٥.

يذكر معظم الباحثين ان بداية حكم الملك أدد نيراري الثاني (٩١١- ٨٩١ ق. م) تمثل بداية لفترة نهوض سياسي آشوري جديد عرف باسم العصر الآشوري الحديث (٩١١ - ٦١٢ ق.) وعد مدة حكم هذا الملك بمثابة نقله سياسية كبيرة في تاريخ بلاد اشور حيث قدر له أن ينقل البلاد من حالة الضعف التي كانت تعيشها إلى حالة القوة والتوسع [١].

دام هذا العصر زهاء ثلاثة قرون وصل الآشوريون خلاله الى قمة مجدهم السياسي والحضاري ونظراً لطول الحقبة الزمنية التي شغلها هذا العصر وما توالت فيه من أحداث كبيرة فقد قسمه الباحثون على حقبتين زمنيتين هما عصر الإمبراطورية الأولى (٩١١ - ٧٤٥ ق. م) وعصر الإمبراطورية الثانية (٧٤٥ - ٦١٢ ق. م) وتخللت هذا العصر فترات ضعف وأنكماش سياسي وعسكري مهد أخرها لوضع نهاية تلك الإمبراطورية وذلك بسقوط العاصمة نينوى في عام ٦١٢ ق. م [٢].

١- الإمبراطورية الآشورية الأولى:

يبدأ عصر هذه الإمبراطورية في عام ٩١١ ق. م وينتهي في عام ٧٤٥ ق. م، استطاع الملوك الآشوريون خلال هذا العصرمن فرض سيطرتهم على معظم الشرق القديم عندما أقاموا حكومة مركزية ضمت تحت سلطتها أقاليم وبلداناً عديدة كان في مقدمتها بلاد بابل وبلاد الشام وقد بلغت تلك الحكومة مجدها السياسي والعسكري في عهد الملكين أشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق. م) وخلفه الملك شلمناصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق. م) [٣].

٢- الأمبراطورية الآشورية الثانية:

شغلت الامبراطورية الثانية البقية من التاريخ الاشوري اي من عام ٧٤٥ق. م الى ٦١٢ق. م وتنصيب تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق. م)واشهر من حكم فيها ملوك السلالة السرجونية، وقد حظيت آشور خلالها باعظم ما أدركت من اتساع الرقعة خاصة في القرن السادس قبل الميلاد عندما أحتل ملوكها مصر التي كانت تعد المنافس الحضاري الوحيد لبلاد وادي الرافدين منذ عهود قديمة [٤].

وقد أدرك الملوك الآشوريون منذ بداية هذا العصر ضرورة النهوض بالواقع الاقتصادي الاشوري، والعمل للحصول على موارد جديدة تغذي بلاد آشور بتنشيط التجارة، وأدركوا ان عملاً كهذا لا يتم ما لم يؤمنوا الطرق التجارية التي تربط آشور بالعالم القديم

(١) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١، ص ٥٤٧؛ سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم موجز التاريخ السياسي (الموصل: دار ابن الاثير للطباعة والنشر، ١٩٩٢)، ص ٢١٥.

(٢) سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج١، ص ٢١٥؛ سليمان، عامر، «العلاقات السياسية الخارجية «حضارة العراق (بغداد: ١٩٨٥)، ح٢، ص١٣٩.

(٣) دلو، برهان الدين، حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي- الاجتماعي- الثقافي والسياسي (بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٩)، ص ٢٣٥.

(٤) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات. . . ، ج١، ص ص ٥٤٧- ٥٤٨.

لهذا فقد أولت آشور أهمية كبرى الى الجهة الغربية (اي بلاد الشام) للبلاد بأعتبارها المنفذ التجاري الرئيس نحو البحر المتوسط وأسيا الصغرى، ومن دوافع ذلك قام الملوك الآشوريون بحملاتهم العسكرية وعلى مختلف الجبهات والتي أثمرت في تحقيق هذا الهدف، بالإضافة إلى الدور الذي أدته في حفظ البعد الأمني للدولة الآشورية من الجهة الغربية للإمبراطورية، وفي تحقيق وحدة بلاد الشام مع الدولة الآشورية، كما كانت تهدف للتصدي لمصر التي لم تتوقف في كثير من الأحيان عن تحريض بلاد الشام على الدولة الآشورية [1].

مصادر أقتصاد آشور في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق. م)

اولاً – الزراعة والثروة الحيوانية.

كان للزراعة مكانة هامة في الحياة الاقتصادية لبلاد آشور، فقد مكنت طبيعة الأرض الخصبة والمياه الوفيره من أعتماد الدولة الآشورية الحديثة على الزراعة اعتماداً شبه كلي إذ كانت الزراعة مصدر الدخل الرئيسي في البلاد، فقد تمكن المجتمع الآشوري خلال هذا العصر من تحقيق الاكتفاء الذاتي، بل إن إنتاجهم الزراعي كان يفيض عن الحاجة لذلك اتجهوا إلى المتاجرة به وتصديره، واستغلال العائد منه في تمويل أعمال العمران المختلفة، وقد خصصت اراضي للزراعة قسمت لأربعة أنواع وهي:

أراضي التاج: ويقصد بها الأراضي الزراعية الخاصة بالملك، فهي تزرع لصالحه وعائدها يصب في خدمة القصر والجيش والمعابد.

الأراضي الخاصة: نسبة كبيرة من هذه الأراضي كانت عبارة عن مسطحات مزروعة، تعود ملكيتها الى كبار المسؤولين وحاشيتهم في الدولة آلاشورية.

أراضي الاستثمار: تعود ملكية هذه الأراضي للملك، لكن الملك كان يسمح لصغار المزراعين باستغلالها بما يعرف بحق الانتفاع.

أراضي البيع: تم العثور على العديد من الوثائق القانونية العائدة لـ الدولة آلاشورية والتي تثبت إن القوانين التي وضعها القائمون على إدارة الدولة، كانت تسمح ببيع وتناقل ملكية الأراضي الزراعية، ولكن ذلك الأمر كان يقتصر على مساحات محدودة، تقع خارج نطاق المساحات الشاسعة، التي كانت تخضع لسيطرة التاج ورجال الملكية الخاصة [2].

أدت الزراعة دوراً هاماً في حياة الآشوريين فقد أهتم بها الملوك وأولوها ذات الرعاية التي قدموها لقواتهم المسلحة[3]، فقد عملوا على زرع البساتين

(١) يعقوب، دانيه جمال الدين، سياسية الدولة الاشورية الحديثة في بلاد الشام ما بين ٩١١-٦١٠ ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة دمشق: كلية الآداب والعلوم الانسانية، ٢٠٠٩)، ص ٥٩.

(٢) جاسم، صفوان سامي سعيد، ملكية الأراضي في العصور الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل: كلية الآداب، ٢٠٠١)، ص ٤٠.

(٣) الأحمد، سامي سعيد، « الزراعة في العصور التاريخية» موسوعة الموصل الحضارية (جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩١)، مج١، ص ١٧١.

والمزراع وجلب المزروعات النادرة والتي تفتقر اليها آشور، فنجد الملك سرجون الثاني (٧٢١- ٧٠٥ق. م) يمدح نفسه بسبب استغلاله للأراضي الغير صالحة للزراعة ومن ثم زراعتها قائلاً: ((لقد فكر ان. . . يفتح الأرض المتروكة ويزرع البساتين، وقرر أن يحصل على الحبوب من المنحدرات الصخرية التي لم يسبق أن أنتجت خضاراً، لقد تعلق قلبه بان يجعل أخاديد في الأرض البور التي لم تعرف المحراث في عهود الملوك السابقين. . .)) [١].

فبالاضافة الى محاصيل الحبوب الرئيسة التي أشتهرت بها بلاد آشور كالحنطة والشعير، والدخن والعدس والرز الذي يرجح وصوله الى أشور من خلال بلاد فارس في الالف الاول قبل الميلاد[٢]. تمكن الملوك الآشوريون من جلب بعض المحاصيل الزراعية من بلدان أخرى وزراعتها في بلاد آشور، ومن هذه المحاصيل السمسم، ويبدو ان زراعة السمسم دخلت الى بلاد آشور زمن الملك سرجون الثاني، إذ يفتخر الملك سرجون بان السمسم كان يباع بسعر الحنطة في عهده [٣]، كما وردت إشارة بشأن زراعة محصول السمسم في عهد الملك اشوربانيبال(٦٦٨- ٦٢٧ق. م)، إذ كانت اسعاره باهضة كما كانت على عهد الملك سرجون الثاني بحيث وصل سعره الى حوالي اربعة امثال قيمة الحبوب إذ تذكر نصوص الملك آشوربانيبال أن: ٣٣٤ قا من الحبوب يعادل سعر ٦٦ قا سمسم))، ومن المحتمل أن ذلك يشير الى بقاء الوضع الزراعي القائم كما هو في عهد الملك سرجون الثاني حتى عهد الملك آشوربانيبال[٤]. وتعود أهمية السمسم الى استخلاص الزيت لكثرة الطلب عليه، فقد فضل الاشوريين زيته على كل انواع الزيوت الأخرى، إذ يذكر الملك سرجون الثاني قائلاً: ((. . . أن الزيت الذي يرخي عضلات الرجال يجب ان لا يكون غالياً في بلادي، وانه بالامكان ابتياع زيت الكتان من السوق بثمن رخيص كثمن الشعير))[٥]، وهذا يدل على استخدامه في التدهين، فضلاً عن أستخدامه في وجبات الطعام اليومية، لذلك حرصت الدولة على توفيره بسعر مناسب لسكان الدولة الآشورية، وأهتم الملك سرجون الثاني أيضاً بزراعة الكروم وبخزن النبيذ بصورة منتظمة [٦]، أما زراعة القطن فمن المرجح انها دخلت بلاد آشور في عهد الملك سنحاريب (٧٠٤- ٦٨١ق. م) إذ كان أول من ادخل زراعته وقد سماه بـ الشجرة التي تنتج الصوف[٧]، فذكر قائلاً: ((الاشجار التي تحمل الصوف جناها

(١) ساكز، قوة آشور، ص ٢٣٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣١.
(٣) الأحمد، « الزراعة في العصور التاريخية »، مج ١، ص ١٧٩.
(٤) باقر، طه، « دراسة في النباتات المذكورة في المصادر المسمارية »، مجلة سومر (بغداد: ١٩٥٣) العدد ٩، ص ٢٥.
(٥) ساكز، قوة آشور، ص ٢٣١.
(٦) الأحمد، « الزراعة في العصور التاريخية »، مج ١، ص ١٧٩.
(٧) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات. . . ، ج١، ص ٥٧٢؛ المياح، علي محمد، « الموارد الاقتصادية ووحدة حضارة بلاد الرافدين »، وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠١)، ص ٣٥.

القوم ومشطوا صوفها لصنع الملابس))، وقد جئ بهذه الاشجار من الهند[١]، وقد أستخلص الآشوريون من بذور القطن الزيت، وأعطوا الفضلات كعلف للماشية كما أستعملوا الباقي منه سماداً للمزروعات[٢]. كما جلب النباتات الأشجار الموجودة في سورية وكذلك نبات المر التي نمت وترعرعت بشكل أفضل مما هي عليه في موطنها الأصلي، وقام أيضاً بزرع جميع انواع الكروم الجبلية والتوت[٣]، وقد عبر عن فرحه في نمو هذه النباتات والاشجارضمن بيئة ومناخ بلاد آشور قائلاً: ((بقدرة الآلهة أصبحت الكروم والسرو والاعشاب تزهو في تلك الحدائق أكثر مما كانت عليه في مواطنها الأصلية ونما التوت وغيره من الأشجار بكثرة وتفرع)) [٤].

ومن المحاصيل الأخرى التي تم زراعتها في بلاد آشور هي الثوم والبصل، والخوخ والسفرجل الذي يكثر في الجبال الشمالية، وأيضاً الكرز التي يصف سرجون الثاني شجرتها بأنها (طيبة الرائحة) وتكثر زراعتها في مدينة الموصل، وغيرها من المزروعات الاخرى التي أشتهرت بها تربة بلاد آشور كالرمان والتوت والتين [٥].

كانت الآداة الرئيسية للزراعة المحراث في اشكاله العديدة المختلفة فكان أحد أشكال المحراث هو الذي يشق التربة والاخر كان لزرع البذور الذي كان في عملية واحدة يقطع الاثلام ويسقط البذور وكان المحراثان يسحبان اما بواسطة الثيران او بواسطة الحمير ونادراً بواسطة الخيول[٦]، كما أستعمل الآشوريون انواع مختلفة من الآلات في اتمام عمليات زراعة الارض، كالمساحي الحشبية والبرونزية والحديدية، التي ورد ذكرها في عهد الملك سنحاريب وابنه أسرحدون (٦٨٠- ٦٦٩ق. م)، وكان لظهور الحديد وانتشاره أثر كبير في تطور استخدام الآلات وزيادة الانتاج، فقد عثر في أحد مخازن دور شروكين على كميات كبيرة من الآلات الزراعية المصنوعة من الحديد مثل الفؤوس والمطارق والمعاول التي كانت تستخدم لتفتيت كتل الطين الصلبة [٧].

اما موسم الزراعة في بلاد آشور كان يبدأ بالحراثة وبذر البذور في اواخر شهر تشرين الاول أو في تشرين الثاني وذلك استعدادا لهطول الامطار [٨].

(١) برستد، جيمس هنري، انتصار الحضارة، تر: أحمد فخري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١)، ص ٢٢٤؛ ديورانت، ول، قصة الحضارة، تر: محمد بدران (الاسكندرية: مكتبة الاسكندرية، ٢٠٠٢)، ج٢، ص ٢٨٠.

(٢) الأحمد، «الزراعة في العصور التاريخية »، مج ١، ص ١٧٩.

(٣) ساكز، قوة آشور، ص ١٤٤.

(٤) سوسة، أحمد، مشروع سنحاريب لإرواء منطقة نينوى (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٩٦٢)، ص ٩.

(٥) الأحمد، « الزراعة في العصور التاريخية »، مج ١، ص ١٨١.

(٦) ساكز، قوة آشور، ص ٢٣١.

(٧) الأحمد، « الزراعة في العصور التاريخية »، مج ١، ص ١٧٨.

(٨) ساكز، هاري، عظمة آشور، تر: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو (دمشق: دار ومؤسسة رسلان، ٢٠٠٨)، ص ٢٣٣.

وقد واصل الملوك الآشوريون أهتمامهم بالزراعة من خلال توفير المياه لأرواء الأراضي الزراعية الخصبة بالقرب من المدن الرئيسة، فقامو بانشاء عدة مشاريع للري في مختلف العواصم الآشورية لغرض تزويدها بالمياه واستخدامها في مختلف النواحي الحياتية، وقد ذكر الملوك الآشوريون ذلك في كتاباتهم وحولياتهم الملكية فقد ذكر أن الملك توكولتي ننورتا الثاني (٨٩٠- ٨٨٤ق. م) قام بحفر ٤٧٠ بئراً، الا أن من أبرز هذه المشاريع وأهمها مشروعي الملك آشور ناصر بال الثاني والملك سنحاريب [١]، فقد ذكرت حوليات الملك آشور ناصر بال الثاني أنه قام بحفر قناة تعرف اليوم بأسم قناة النكوب يبلغ طولها ٢٥ كم لايصال المياه من الزاب الكبير الى عاصمته كلخو (نمرود)، ولارواء الأراضي الصالحة للزراعة بموازاة نهر دجلة ومن أجل عبور المياه حفر نفقاً عرف بنفق النكوب، وقد أطلق على قناته أسم فاتحة الخير (باتي خيكاللي)، وهذا ما ورد على لسانه متفاخراً: ((حفرت قناة من الزاب العلى وقطعتها من خلال الجبل وقمته (و) أطلقت عليها باتي خيكاللي، وأسقيت المروج بنهر دجلة وغرست البساتين وضواحيها بأنواع الأشجار والفاكهة)) [٢]، هذا وقد قام كل من الملك تجلاتبليزرالثالث والملك أسرحدون فيما بعد بترميم هذه القناة [٣].

كذلك ذكرت حوليات الملك سرجون الثاني مدى براعتة في هذا المجال إذ قام بإعادة تشكيل وأكمال نظام الري وأصلاح السدود فأمر بتنظيف الجداول وفتح القنوات التي كانت مهملة طوال فترة الاضطرابات التي حدثت في الفترات السابقة من حكمه[٤]، وعمل على الاستفادة من مياه العيون وأيصالها إلى القنوات حتى غطت المياه الأراضي الزراعية إلى الشمال والجنوب في انحاء البلاد جميعها[٥].

وواصل الملك سنحاريب الأهتمام بمشاريع الري الضرورية لإدامة الحياة الزراعية فقام، بحفر القنوات واقامة السدود والخزانات [٦]، ويعد مشروع أرواء مدينة نينوى من أضخم مشاريع الأرواء في بلاد آشور خلال حكم الملك سنحاريب حيث قسم هذا المشروع الى مرحلتين، المرحلة الاولى تمثلت بحفر قناة أطلق عليها قناة سنحاريب التي جلب المياه اليها من نهر الخوصر، وقد ذكرذلك في حولياته متفاخراً بأنه:((... أبتداء من أطراف كيسيري الى اواسط نينوى حفرت قناة حولت مياه نهر الخوصر عن مجراها وجعلتها تجري فيها من أجل ان تقوم بارواء الاراضي، وسميت

(١) الأحمد، « الزراعة في العصور التاريخية»، مج ١، ص ١٨٣.

(2) Graysan, A. K, Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC,(London:1991), Vol 2,p. 290.

(٣) الأحمد، « الزراعة في العصور التاريخية »، مج ١، ص ١٨٢.

(٤) (٣٢) ساكز، قوة آشور، ص ٢٣٠.

(٥) باقر، « دراسة في النباتات المذكورة في المصادر المسمارية »، ص ٢٥.

(٦) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات. . . ، ج١، ص ٥٧٢؛ ساكز، قوة آشور، ص ١٤٤.

تلك القناة بـ « قناة سنحاريب » الى نهر الخوصر)[1].

ويبدو أن هذه القناة لم تكن كافية لارواء الأراضي الزراعية لذلك اتجه الملك سنحاريب لانجاز المرحلة الثانية من مشروعه وذلك من خلال جلب المياه من نهر الكومل الى نينوى حيث قام بجلب المياه من ينابيع نهر الكومل الواقع في مضيق بافيان وأجراها في قنوات الى مجرى نهر الكومل عند مضيق بافيان ثم قام بأنشاء سد في مضيق بافيان لتحويل المياه الى قناة في الجانب الغربي من النهر[2].

أن جهود سنحاريب ومشاريعه الاروائية لم تقتصر على عاصمته نينوى بل طالت مدينة أربيل أيضاً، فقد ذكر سنحاريب ذلك في إحدى كتاباته التي خلفها في مسناة من الحجارة بالقرب من قرية قره مورتكة القريبة من مدينة أربيل، والتي جاء فيها: (((انا) سنحاريب ملك العالم، ملك بلاد آشور حفرت أنهاراً ثلاثة في جبال خاني وهي جبال في اعالي مدينة أربيل وأضفت اليها مياه العيون التي في اليمين واليسار من جوانب تلك الانهار. ثم حفرت قناة (تمتد) الى أواسط مدينة أربيل موطن السيدة العظيمة، الالهة عشتار وجعلت مجراها مستقيماً. . .)) [3].

ومن الملاحظ أن مشروعا الملك سنحاريب لري مدينتي نينوى وأربيل يوضحا الشوط الكبير الذي قطعه في هذا المجال إذ يمكن عد عهده بمثابة ثورة في اقامة مشاريع الري والسدود وكان أهتمام سنحاريب بايجاد وسائل لإدامة صلاحية الأراضي للزراعة انما يدل على مدى اهتمامه بالزراعة اذ قام بتقسيم الأراضي السهلية المحيطة بعاصمته نينوى وتوزيعها على الأهالي لاستصلاحها وزراعتها[4]، ونظرا لاتساع الأراضي الصالحة للزراعة، فقد تطلب الأمر توافر أيدي عاملة كبيرة من الفلاحين من غير الآشوريين مستخدماً سكان الشعوب المرحلة في أعمال شتى ومنها الاعمال الزراعية لغرض تنمية موارد الدولة الاقتصادية[5]، اما الملك اسرحدون فلم يشهد عهده أي نشاط واضح في اقامة مشاريع الري فكانت اعماله الاروائية قائمة على اساس كري القنوات التي شقت من قبل الملوك السابقين دون انجاز مشاريع اضافية جديدة، إذ قام الملك أسرحدون بكري وتوسيع القناة التي انشاءها الملك آشور ناصر بال الثاني كما ذكرنا سابقاً، وادخل عليها بعض التعديلات ادراكاً منه لأهمية هذه القناة لارواء سهل العاصمة نمرود، والذي يفتقر إلى الماء وقد وجد لايارد في الطرف الخارجي من النفق لوحاً من الحجر نقشت عليه كتابة تشير إلى ان الملك اسرحدون قد جدد حفر القناة

(١) سوسة، مشروع أرواء سنحاريب. . . ، ص ١٥؛ سفر، فؤاد، « أعمال الارواء التي قام بها سنحاريب »، مجلة سومر، مجلد ٣، ج١ (بغداد: ١٩٤٧)، ص٨٠.

(٢) سوسة، المصدر نفسه، ص ١١؛ الاحمد، سامي سعيد، « الزراعة والري « حضارة العراق (بغداد: ١٩٨٥)، ج٢، ص ١٨٠.

(٣) سفر، « أعمال الارواء التي قام بها سنحاريب»، ص ٨٤؛ الاحمد، « الزراعة والري »، ج٢، ص ١٨٠.

(٤) الأحمد، « الزراعة في العصور التاريخية »، مج ١، ص ١٨٠.

(٥) سوسة، مشروع سنحاريب. . . ، ص ٣١.

واطلق عليها اسم (تبليتو)، ويذكر أسرحدون في هذا النقش امتلاء هذا السهل بالاعشاب، وبكل أنواع الفواكه والاشجار العظيمة التي أصبحت كثيفة كما جاء في مؤخرة النقش إذ يقول:(وكل أنواع الفواكه والاعشاب وأشجارها العظيمة فاضت و)[1].

الثروة الحيوانية:

ومن الجوانب ذات الأهمية في أقتصاد الدولة الآشورية الحديثة أضافة الى الجانب الزراعي تربية الحيوانات، وتدجينها باعتبارها تدرج ضمن النشاط الزراعي مما شكل تنوعاً في ممارسة الفعاليات الاقتصادية الآشورية فقد عرف مزارعي الدولة آلآشورية بتربية حيوانات المزارع فملكوا ثروة حيوانية هائلة من الضأن والأبقار[2]. وعرف سكان الدولة الآشورية الحديثة تربية الدواجن والاغنام والماعز والخنازير فضلاً عن ممارستهم لصيد الحيوانات البرية كالغزلان، وكانت للمواشي أهمية مزدوجة فلم تكن هذه ذات قيمة بالنسبة لكونها مصدراً من مصادر الطعام فحسب بل لكونها تستعمل ايضاً كحيوانات للنقل والجر وكذلك للاستفادة من البانها واصوافها وجلودها[3].

ثانياً- الصناعة والحرف.

تعتبر الصناعة أحد المصادر الرئيسة التي قامت عليها الحياة الأقتصادية في بلاد آشور بعد الزراعة، فقد كان لبلاد آشور مكانة متميزة في مجال الصناعة وقد يعزى سبب ذلك الى اتساع حدود الامبراطورية الآشورية مما قد سهل الطريق لجلب الكثير من المواد الخام التي كانت تفتقر اليها بلاد آشور من البلدان والأقاليم الأخرى، هذا فضلاً عن ان العديد من الملوك الآشوريين قاموا بجلب الصناع والحرفيين المهرة من أرجاء الامبراطورية ومن أسرى الحروب مما ساهم في نشاط الصناعة وتقدمها وهذا ما سناتي على ذكره[4].

من الصناعات المهمة التي شهدت ازدهاراً واسعاً في العصر الآشوري الحديث هي صناعة المنسوجات، وكان الصوف من أولى المواد الأولية المستخدمة في صناعة النسيج، الا أن صناعة النسيج من القطن كانت الأشهر لديهم[5]، وسبق وانا ذكرنا ان الملك سنحاريب كان قد جلب الشجرة التي تحمل الصوف وانه كان قد نسج نتاجها من اجل عمل الملابس، ونظراً لأهمية هذه الصناعة فقد كان لها تنظيم نقابي خاص بالعاملين

(١) الفتلاوي، احمد حبيب سنيد، أسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة واسط: كلية الآداب، ٢٠٠٦)، ص ١٩٥.

(٢) حمود، حسين ظاهر، «وحدة ثقافات عصور ما قبل التاريخ في بلاد الرافدين «، وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين « (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠١م)، ص ص ٦٣-٦٤.

(٣) ساكز، عظمة آشور، ص ٢٣٩.

(٤) الجادر، وليد، « الصناعة «، موسوعة الموصل الحضارية (جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩١)، مج١، ص ٢٠٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

في حقل النسيج عرف في الأكدية باسم (كصرو- شا- اشباري)، وكان النساجون يعملون في أماكن مختلفة فكان للقصر الملكي نساجوه وللمعبد نساجوه هذا ماكان يتطلب التزام هذه المؤسسات بتقديم كل ما يحتاجه النساجون من مواد أولية لحاجة العمل من صوف وغيره الأمر الذي تطلب وضع قائمة منتظمة بكميات المواد الأولية والمصنعة إلى النساجين من ذلك الإشارة التي ذكرت تسليم مجموعة من المنسوجات الصوفية وخيوط غير منسوجة ملونة بألوان مختلفة إلى نساجين في محلات نينوى وغيرها من المدن كانوا تابعين للقصر الملكي لغرض الحصول على الصوف الجاهز للعمل باستخدام أداة صغيرة يدوية فضلاً عن الاستفادة من بعض أنواع النباتات لاسيما الشوكيات منها، لندف الصوف ونفشه وتم التعرف على ذلك من خلال نص ناقص وجد في نينوى يذكر فيه: ((سأنهض وأكسر الشجرة الشوكية (أو الشجرة ذات الأشواك) وسأندف الصوف)) كما استخدمت المغازل في عمليات النسج يؤكد ذلك العثور على عدة مغازل في مدينة نينوى [١].

وكان من أهم هذه الصناعات نسج الملابس التي أولاها الملوك الآشوريون عناية كبيرة، فبالاضافة الى ملابس الحياة اليومية، بعض الملابس كانت يتم ارتداؤها في أوقات محددة كالاحتفالات والأعياد الدينية، والبعض الأخر اقتصر ارتداؤها على الملوك والآلهة فاستخدموا خيوط الذهب والفضة في صناعتها وزينوها بأنواع الحلي والأحجار الكريمة [٢]، ولغرض إظهار الملابس بهيأة رائعة فقد صنعت لأجلها الألوان ومن ذلك ما ورد في إحدى الرسائل العائدة للملك أشوربانيبال المبعوثة إليه من شخص يدعى بـ (مردوخ- شار- اوصر) جاء فيها التأكيد على وجود ملابس من الصوف ملونة بالصبغ الأرجواني [٣].

كما عرف الآشوريون صناعة الجلود ومنها صناعة الأحذية التي كانت إحدى الدعامات الرئيسة في الصناعة الجلدية حيث نجد أن الأحذية المختلفة خلال عصر الملك سنحاريب تختلف عن مثيلاتها في عهد الملك آشوربانيبال من حيث المتانة والدقة وقد تم تلوينها بشكل رائع كما زينت بالمعادن الثمينة كالأحجار الكريمة وغيرها[٤]، وإلى جانب ذلك فقد صنعت من الجلد العديد من الآلات الموسيقية كالطبل والدف المربع واستخدم أيضاً في تجهيز الخيل بالسروج والأعنة وغيرها [٥].

ومن الصناعات الاخرى التي عرفها الآشوريين صناعة المعادن نظراً للحاجة الملحة إليها في أوقات السلم والحرب وأن معرفة المعادن وكيفية الإفادة منها، مثل بحد ذاته تطوراً كبيراً في الحياة بكافة أنشطتها

(١) الجادر، وليد، الحرف والصناعات في العصر الآشوري المتأخر (بغداد: ١٩٨٢)، ص ٢٥.

(٢) ساكز، عظمة آشور، ص ٢١٥.

(٣) الجادر، الحرف والصناعات، ص ص ١٦٠- ١٦١.

(٤) الجادر، « الصناعة »، مج١، ص ٢٢١.

(٥) الجادر، الحرف والصناعات. . . ، ص ١٧٢.

ويأتي في مقدمتها النحاس والذهب والفضة والحديد والبرونز، والرصاص والقصدير وقد أفتخر الملك سنحاريب بانه أخترع طريقة جديدة في صب المعادن ومنها البرونز، إذ يقول: ((أنا سنحاريب ومن خلال ذلك الذكاء المتوقد الذي وهبني إياه الإله العظيم إيا وبعد التجارب التي أجريتها والتي لم يسبقني إليها أحد، فقد بنيت قوالب من الصلصال تمثل أثني عشر أسداً هائلاً مع أثني عشر عجلاً هائلاً وصببت البرونز فيها))[١]، واستخدم الحديد على نطاق واسع في عصر السلالة السرجونية، إذ دخل في صناعات عديدة كصناعة الاسلحة ومنها السيوف التي أستخدمت في عهد الملك آشوربانيبال، وقد عرفت ورشات خاصة بصناعة الاسلحة تسمى (بيت- كوتاني)[٢]، وصنعت العديد من الاسلحة الخاصة بالعائلة المالكة بالذهب والفضة، فضلاً عن استخدام المعدنين في صنع الآلات الموسيقية، وصناعة التماثيل الخاصة بالآلهة والملوك وكذلك في تزيين المباني الملكية كالقصور مع دخولها في عمل بعض الأثاث الخاصة بالقصور والمعبد[٣].

كما أشتهر الآشوريون بصناعة الأثاث والملاحظ أن أكثر الأخشاب التي استخدمت في هذه الصناعة جيء بها الآشوريون عن طريق التجارة مع مناطق بلاد الشام لاسيما أخشاب الارز من الساحل اللبناني وأخشاب السرو والابنوس وغيرها من الأخشاب التي كانت تدخل في صناعة الأثاث الخشبي[٤]، وقد لقيت صناعة الأثاث أهتماماً كبيراً من قبل الملوك الآشوريين، باختلاف أنواعة من العرش الملكي، وأسرة النوم، والموائد، والعربات الخشبية الملكية لاسيما لملوك السلالة السرجونية والتي تجرها الخيول[٥]، فقد ذكر أن عرش الملك سنحاريب كان يرتكز على أربعة أرجل على شكل أقماع الارز وله ذراعان تعتمد على ثلاثة صفوف في كل صف منها أربعة تماثيل مرتبة الواحد فوق الاخر، وكان يغطي المقعد والظهر ملفعة من قماش ثمين [٦]، هذا وقد جسدت المنحوتات الفنية طبيعة الأثاث المستخدم من قبل الملوك الآشوريون وأنواعه، فنجد مثلاً أن الملك آشور ناصر بال الثاني كان يمتلك موائد ملكية كبيرة جهز بها قصره الملكي، لأقامة موائد كبيرة أيام الاحتفالات والأعياد، ظهر ذلك في لوح أحتفال للملك أقامه بمناسبة الانتهاء من أنشاء قصره في مدينة كالخو(نمرود) جاء فيه:((. . . دعا الى الاحتفال ٦٩٥٧٤ شخصاً من كل أنحاء الامبراطورية، نزلوا

(١) ساكز، هاري، عظمة بابل، تر: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو (دمشق: دار ومؤسسة رسلان، ٢٠١١)، ص ١٤٣.

(٢) الجادر، الحرف والصناعات. . . ، ص ص ٢٢٣-٢٢٥.

(٣) الجادر، «الصناعة «، مج ١، ص ٢٢٥.

(٤) الهاشمي، رضا جواد، « التجارة» حضارة العراق (بغداد: ١٩٨٥)، ج٢، ص ٢٠٥.

(٥) ساكز، عظمة آشور، ص ص ٢٢٢- ٢٢٥.

(٦) بورت، ديلا. ل، بلاد ما بين النهرين، تر: محرم كمال، ط٢(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧)، ص ٣٤٤.

ضيوفاً على الملك. . . شربوا وأكلوا على المائدة الملكية. . .))[1]، كما أظهرت منحوتة للملك آشوربانيبال الموائد، عند أنتصاره على بلاد عيلام مجسدة مشهد الفرح والسرور[2].

وقد جلب الملوك الآشوريون الصناع المهرة إلى العواصم الآشورية من خلال الحملات العسكرية على الشعوب المجاورة والذين يتم جلبهم ضمن الغنائم، فضلاً عن الصناع من إرجاء الأمبراطورية الآشورية للعمل في الصناعات منها صناعة السفن والقوارب لمهاجمة الأعداء [3] فنجد أن سنحاريب جلب الصناع المهرة الفينيقيين إلى نينوى لبناء أسطوله الضخم عندما قرر شن حملته على بلاد عيلام، وقد وصف ذلك في أحد نصوصه قائلا: ((. . . . جعلت الصناع من أهل صيدون وصور وأهل قبرص من الأسرى في نينوى أن يصنعوا السفن التي أمرت بإنزالها الى نهر دجلة لركوبها حتى الوصول الى اليابس))[4]. أو صناعة الاثاث الخشبي وكان الصناع الفينيقيين من أمهر الصناع في الحفر على العاج[5].

ثالثاً – التجارة

شهدت بلاد آشور ازدهاراً واضحاً في مجال التجارة خلال العصر الآشوري الحديث ويبدو أن تطور الحياة الاقتصادية في بلاد آشور من حيث ارتفاع معدلات إنتاجها الزراعي والصناعي، مكنها من تحقيق الاكتفاء الذاتي مما ولد لديها فائض بالانتاج، وبالتالي سير أتجاه الدولة نحو التجارة لتصدير فائضها ولسد ما ينقصها من مواد باستيراده من خارج أراضيها، ومن المعروف ان بلاد آشور كانت قد لعبت وعبر تأريخها الطويل دوراً هاماً في الحياة التجارية في منطقة الشرق الأدنى القديم، إذ كانت تمثل حلقة اتصال رئيسة لحركة التبادل التجاري بين بلاد الأناضول وبلدان البحر المتوسط من جهة وبين الأقسام الوسطى والجنوبية من أرض العراق من جهة أخرى، إذ كانت تمر عبرها طرق المواصلات التي كانت تصل ما بين البحر المتوسط والخليج العربي فالبحر العربي ومن الغرب باتجاه الهند أو بالعكس، كما كانت تقع بلاد آشور على خطوط المواصلات البرية بين الشمال الشرقي والجنوب الغربي ولاسيما أن سلسلة جبال أرمينيا باتجاه الشمال والصحراء الغربية باتجاه الجنوب كانت تمثل صعوبات بالغة للتجار الذين يتبعون الطرق البرية [6]. وقدعرف الآشوريين

(١) مهران، محمد بيومي، تاريخ العراق القديم (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠)، ص ص ٣٧٠- ٣٧١.

(٢) للمزيد حول صناعة الأثاث. ينظر: علي، ياسمين عبد الكريم محمد، الأثاث في العصر الآشوري الحديث ٩١١- ٦١٢ ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٤)، ص ص ١٦٥- ٢٠٠.

(٣) الجادر، «الصناعة «، ج١، ص ٢٠٢.

(٤) الهلالي، ابراهيم محمد علي، علاقة بلاد الرافدين بالساحل الفينيقي من العصر الآشوري الحديث حتى نهاية العصر الكلداني (٩١١- ٥٣٩ق. م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة ام القرى: ٢٠١٣)، ص ١٠٩.

(٥) الهاشمي، « التجارة»، ج٢، ص ٢٠٥.

(٦) الأحمد، سامي سعيد، «التجارة « موسوعة الموصل الحضارية (جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩١)،

التجارة ومارسوها نتيجة لحاجتهم إلى المواد الاولية التي تفتقر اليها بلادهم كالمعادن والاحجار والاخشاب فضلاً عن تصديرهم الفائض من الانتاج إلى خارج بلادهم، وقد اظهرت نتائج التنقيبات أن مواقع مختلفة من شمال بلاد الرافدين تربطها علاقات تجارية مع بلدان أخرى منذ اقدم العصور وكانت المدن الساحلية لبلاد الشام مرتبطة ببلاد آشور ومنها مدينة أوغاريت (رأس- شمرا) التي كان لها من الأهمية كطريق تجاري يربط بين بلاد الرافدين من جهة وبين اسيا الصغرى الغنية بالنحاس والذهب والفضة من جهة أخرى، وقد نشطت اوغاريت كمدينة تجارية من عهد تجلاتبليزر الاول حتى عهد الملك اشوربانيبال[1]، ولم يقتصر النشاط التجاري لآشور على بلاد الشام بل أمتد ليشمل بلدان أخرى منها مصر والخليج العربي فقد تم خلال عصر السلالة السرجونية فتح الطريق التجاري المؤدي إلى دلمون (البحرين) تمهيداً للحصول على منتجات مختلفة[2]، حيث ورد على لسان الملك سنحاريب واصفاً نفسه بانه: «ملك ملوك دلمون ومكان وميلوخا»، التي تعد من المدن التجارية المهمة التي وصل إليها عن طريق الحملات العسكرية[3].

وقد أستورد الآشوريون مختلف انواع المعادن كالذهب والفضة والقصدير والنحاس والرصاص ومختلف انواع الاحجار الكريمة، وأصناف من الاخشاب مثل الأرز والأبنوس وخشب القس كما أستوردو اللؤلؤ والعاج والكثير من المواد الضرورية لعدم توفرها في بلاد آشور، هذا وقد كان الآشوريون يسيطرون على أقتصاد وتجارة المناطق التي يسيطرون عليها، فقد جلبو الفضة من كليكيا بآسيا الصغرى حيث توجد مناجم بلغار، وقد تمكن الآشوريون من ضمان هذه المناطق الثرية بالفضة زمن الملك شلمناصر الثالث الذي سيطر على منطقة كري ورغم خسارتها الا أن الملك تجلاتبليزر الثالث تمكن من أسترجاعها ووصل الى المناجم نفسها واستمر الملوك الآشوريون بالمحافظة عليها حتى عهد الملك أسرحدون[4].

وفي زمن الملك سرجون الثاني أستورد الآشوريون النحاس من قبرص، وربما من عمان، اما القصدير فكان يؤتى به بواسطة التجار الفينقيين من صقلية ومن جزر القصدير في أوربا، وحصلوا على الرصاص من سورية والجبال الغربية، أما الحديد فقد حصل عليه الآشوريون من منطقة كوما عنين الواقعة شمال غرب آشور وأيضاً جلبوه من منطقة حران[5] كما أستورد الآشوريون الأحجار الكريمة مثل اللازورد من بدخشان في افغانستان وبكتيريا، والعقيق الأحمر

مج١، ص ١٨٥.

(١) الهاشمي، « التجارة»، ج٢، ص ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) الاحمد، « التجارة»، مج١، ص ؛ الهاشمي، «التجارة»، ج٢، ص ٢٠١.

(٣) طه، منير يوسف، «النشاطات الآشورية في الخليج العربي» موسوعة الموصل الحضارية (جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩١)، مج ١، ص ١٢٣.

(٤) الأحمد، « التجارة»، مج ١، ص ١٩٣.

(٥) المصدر نفسه، مج ١، ص ص ١٩٣- ١٩٤.

واليشب والجزع (العقيق اليماني) من عربستان، والعاج من الهند ويبدو ان الآشوريون كانوا قد نقلوا هذه المواد عن مواطنها الاصلية عن طريق الخليج العربي الذي لعب دوراً هاماً في تجارة الترانزيت آنذاك لكونه طريقاً سلكته بضائع الهند والمناطق الاخرى من جنوب غرب آسيا في طريقها الى بالعراق حتى شواطئ البحر المتوسط [١]، كما استوردو الزمرد والشذر من مصر، فضلاً عن الكثير من هذه الاحجار التي قاموا باستيرادها من صيدأ والمدن البابلية والمصرية [٢].

كما جلب الآشوريون الأخشاب ومنها خشب الأرز من لبنان وجبال الأمانوس وخشب الساج والأبنوس من الهند وافريقية، وأستورد الآشوريون البخور والمر من بلاد العرب، والدارصين من جنوب شرق بلاد العرب ربما من سيلان [٣].

كانت هذه أهم المواد التي أستوردها الآشوريون من البلدان الاخرى فضلاً عن مواد أخرى كان لها أثر في سد النقص وما يحتاج اليه البلاد من مواد ضرورية لقيام الزراعة والصناعة واستقرار الحياة الاقتصادية في البلاد، وبالمقابل كان الآشوريون يصدرون المنسوجات والزيوت لاسيما زيت السمسم والمعادن، والشعير، والصناعات الجلدية، وغيرها من الصناعات المحلية التي بلغت شهرة واسعة لديهم والفائضة عن حاجتهم[٤].

ولابد لنا من ذكر الاماكن التي كانت تجري فيها عمليات البيع والشراء والتبادل التجاري في بلاد آشور والتي تعرف بالاسواق حيث كانت تقام الى جانب الشوارع والطرقات والساحات العامة، أو عند مداخل المعابد الرئيسة حيث يجتمع عندها الناس يبيعون ويشترون ويتبادلون شؤون معاملاتهم المالية كما يعقدون الصفقات التجارية [٥]، وقد اكدت الدلائل المتوفرة وجود مثل هذه الاسواق ومنها مثلاً ما ذكر في كتابات الملك سنحاريب التي أكدت على وجود الأسواق في المملكة من خلال ذكره لجانب من أعماله العمرانية التي خلفها على إحدى المسلات التي عثر عليها في نينوى حيث ذكر فيها قائلاً:((جعلت شوارع أسواقها عريضة التكون ملكية))[٦]، وكذلك ما ورد عى لسان الملك آشور بانيبال ضمن إحدى كتاباته قوله:((في بلادي تباع الجمال في الأسواق بسعر شيقل واحد أو. . . .))[٧].

وغالباً ما كانت بوابات المدن والساحات المحيطة بتلك البوابات تمثل أماكن متخصصة بأعمال البيع والشراء والمتاجرة، وهذا ما كان يجري في بعض

(١) الهاشمي، « التجارة»، ج٢، ص٢٠٣.
(٢) الأحمد، « التجارة»، مج ١، ص١٩٤.
(٣) المصدر نفسه، مج ١، ص١٩٤.
(٤) الهاشمي، «التجارة»، ج٢، ص ٢٠٢؛ الأحمد، « التجارة «، مج ١، ص ص ١٩٣-١٩٤.
(٥) الهاشمي، « التجارة»، ج٢، ص ٢١٦.
(٦) متولي، نواله، «مسلة آشورية من نينوى»، مجلة سومر، (بغداد: ١٩٩٩-٢٠٠٠)، العدد ٥٠، ص١٦٣.
(٧) ساكز، عظمة آشور، ص ٢٥٤.

بوابات مدينتي نينوى وآشور، منها إحدى بوابات مدينة نينوى التي كان يطلق عليها بوابة مُشلالم الواقعة على السور الشرقي من المدينة التي تفصح عن وظائفها واستخداماتها الأخرى هي)) أفضل الحبوب والقطعان [بداخلها]))، وربما كانت تتم في هذه البوابة عمليات بيع تلك الحبوب والقطعان وشرائها من سكان مدينة نينوى والوافدين إليها من القرى والمدن المحيطة بها، والبوابة الثانية هي بوابة مدينة شيبانيبا (تل بلا) الواقعة أيضا ضمن السور الشرقي لمدينة نينوى[1].

اما وسائل التبادل التجاري:

فمن أهم الوسائل التي استخدمها الآشوريون عند تقييم الاثمان والاجور وتحديد الاسعار وتقدير مبالغ التعويض وغيرها كانت الحبوب ولاسيما الشعير فاتخذت الحبوب كوسيلة بديلة للمقايضة لان تطور الحياة الاقتصادية وتنوع السلع والمنتجات واتساع نطاق العمل جعل من غير الممكن تحديد اثمان جميع السلع والمواد بطريقة المقايضة [2]، فكان لابد من ايجاد وسيلة اخرى لتسير اسلوب التعامل التجاري فكان ان استخدمت الحبوب لهذا الغرض باعتبارها سلعة لتقييم الأثمان والخدمات المختلفة ولتيسير اجراء المعاملات التجارية [3]، ونظراً لوفرة الشعير وتعدد فوائده واستخداماته فقد احتل المكان الاول بين المواد الاخرى لتقييم الاثمان وتحديد اجور الخدمات والحيوانات لفترة طويلة من الزمن[4].

ومن وسائل التعامل التجاري الأخرى التي استخدمت في بلاد آشور في هذا العصر هي المعادن والتي اعتبرت من أكثر الوسائل أهمية نظراً لما كانت تتمتع به المعادن ولاسيما الثمينة منها كالذهب والفضة من خصائص او صفات تميزها في الاستخدام عن الحبوب وهي: الندرة والديمومة وقابلية تجزئتها ومن ثم تجميعها ثانياً و خفة وزنها والسيولة اي امكانية استخدامها كمستودع للقيمة نظراً لما تتمتع به من قبول عام في المجتمع وامكانية تحويلها إلى سلع وخدمات[5].

ومن انواع المعادن التي استخدمت في بلاد آشور كوسيلة للتعامل هي معدن الفضة ومعدن النحاس والبرونز والحديد الذي استخدم على نطاق محدود، فقد استعملوا الفضة في شكل صفائح صغيرة او

(١) الاعظمي، محمد طه محمد، « الشوارع والطرقات في القرى والمدن العراقية القديمة»، مجلة كلية الآداب (جامعة بغداد: ٢٠٠٢)، العدد ٦٠، ص ص ٣٢٠- ٣٤١.

(٢) باقر، طه، فاضل عبد الواحد، وعامر سليمان، تاريخ العراق القديم (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠)، ج٢، ص ١٤١.

(٣) سليمان، عامر، «وحدة حضارة بلاد الرافدين في النظم الاقتصادية والقانونية»، وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين(بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠١م)، ص ١١٤.

(٤) سليمان، المصدر نفسه، ص ١١٤؛ باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ج٢، ص ١٤١.

(٥) سليمان، «وحدة حضارة بلاد الرافدين في النظم الاقتصادية والقانونية»، ص١١٥.

حلقات او اقراص مثقوبة ذات وزن محدد [١] يمكن أستحدامها بسهولة لدفع الثمن المطلوب للبضائع وللبائع او المشترى[٢]، ويبد ان الاستخدام الكبير للفضة في بلاد آشور خلال عهد حكم الملك سرجون الثاني، يرجع إلى حملاته العسكرية الناجحة التي قادها ضد المدن السورية، ولاسيما مدينة كركميش التي حصل منها عن طريق الغنائم على كميات كبيرة من الفضة، ولاهمية الفضة كانت تصب بقطع معدنية ذات اوزان معروفة مقدار كل منها نصف شيقل كانت متداولة زمن الملك سنحاريب[٣]، وهذا ما أشار اليه الملك عند تفاخره بصب بعض التماثيل كما تصب انصاف الشيقل، وكانت بعض قطع الفضة تحمل شعار الإله شمش أو الآلهة عشتار مختوماً عليها وربما كانت هذه هي الخطوة الأولى للتطور نحو استخدام النقود[٤]، وتظهر النصوص الآشورية ان النحاس كان اكثر المعادن شيوعاً في الاستخدام في بلاد آشور خلال القرن الثامن قبل الميلاد كما تبينه الوثائق القانونية اما معدن البرونز فتظهر لنا العقود والوثائق الآشورية انه أستخدم بشكل كبير قبل عهد حكم الملك ادد نيراري الثالث(٨١٠- ٧٨٣ق. م) وبعده والذي يبدو ايضاً ان حملاته العسكرية الناجحة على المدن السورية ولاسيما مدينة دمشق التي فرض عليها اتاوة تقدر بـ ٣٠٠٠ بِلتُ من البرونز ربما كانت سبباً من اسباب استخدام هذا المعدن في بلاد آشور في هذه الفترة [٥]، وقد أستخدمت المعادن في الغالب وسيلة للتبادل كقطع ذات وزن ثابت ومعين تضمنه الدولة [٦].

الحملات العسكرية للملوك الاشوريين وأثرها في دعم الاقتصاد التجاري:

شهدت التجارة تطوراً شديداً خلال العصر الآشوري الحديث، ولم يكن مرد هذه التطور الى نمو القوى المنتجه في البلاد وانما سببته الفتوحات والحملات العسكرية التي خاض غمارها الملوك الآشوريون في سبيل تثبيت أركان الامبراطورية وحمايتها من الأخطار الخارجية من جهة، وبلوغ مناطق الجوار الغنية بالموارد الاولية والسيطرة على مقدراتها من خلال السيطرة على الطرق التجارية المؤدية إليها وتأمينها من جهة أخرى [٧].

فنجد أن مسوغات الحملات العسكرية التي خاضها الملك آشور ناصربال الثاني في الجهات الشمالية الغربية من بلاد آشور ضد الدويلات الآرامية

(١) دلو، حضارة مصر والعراق، ص ٢٧٤.
(٢) باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ج٢، ص ١٤٢.
(٣) دلو، حضارة مصر والعراق، ص ٢٧٤.
(٤) سليمان، «وحدة حضارة بلاد الرافدين في النظم الاقتصادية والقانونية »، ص١١٥؛ الهاشمي، « التجارة »، ج٢، ص ٢٣٣؛ ديورانت، قصة الحضارة، ج١، ص ٢٨٠.
(٥) ساكز، قوة آشور، ص ١٢١.
(٦) الأحمد، « التجارة»، مج ١، ص ١٩٨.
(٧) محمد، نبيل نور الدين حسين، الحملات العسكرية الآشورية دوافعها ونتائجها في ضوء النصوص المسمارية المنشورة، أطروحة دكتوراه (جامعة الموصل: كلية الآداب، ٢٠٠٦)، ص ص ١١١- ١١٤.

والتي كان من أبرزها بيت اديني كان لها أهداف اقتصادية إلى جانب أهدافها العسكرية في القضاء على خطر تلك الدويلات المتنامية متمثلة في تأمين سلامة الطرق التجارية المؤدية إلى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وضمها تحت السيطرة الآشورية الأمر الذي شكل مصدر قلق كبير لبلاد بابل التي رأت في السيطرة الآشورية على الدويلات الآرامية في سورية والواقعة على الفرات تهديداً خطيراً لمصالحها التجارية مع المدن الواقعة على البحر المتوسط مما دفع الملك البابلي نابو – ابلو – ادينا (٨٨٧-٨٥٥ق. م) إلى التحالف مع حاكم سوخي الذي رفض دفع الإتاوة إلى الملك الآشوري لمواجهة الجيش الآشوري ولكن مع ذلك فإن هذا الحلف لم يستطع الصمود أمام الجيش الآشوري كما ادعى آشور – ناصر – بال الثاني في كتاباته [١].

ويذكر أن دوافع الهجوم الآشوري المفاجئ لبلاد بابل من قبل الملك شلمناصر الثالث وأبنه من بعده شمشي – ادد الخامس(٨٢٣- ٨١١ق. م) كان لأسباب اقتصادية إذ ليس هناك ما يشير الى أن بلاد بابل كانت تمثل آنذاك تهديداً خطيراً لبلاد آشور، وربما كان هذا الهجوم يهدف إلى حماية الطرق التجارية، فقد كانت قبائل الكلدو (الكلديون) مسيطرة غالباً على جنوب بلاد بابل في عهد هذين الملكين واستناداً لقوائم اللمو فقد وجه شمشي – ادد الخامس حملته ضد تلك المنطقة بالذات لما كانت تتمتع به مدن جنوبي بابل من أهمية بالغة كمراكز للتجارة مع الهند والجزيرة العربية المارة شمالاً عن طريق مكان (عمان) ودلمون (البحرين) وفي فترة لاحقة كانت التحركات العرقية في شمالي إيران قد غيرت الطرق التجارية في تلك المنطقة مما أدى إلى استخدام طريق أخرى تمر من جنوب إيران (عيلام) وبابل، لذا فإن من المحتمل أن شمشي – ادد الخامس كان يحاول بسط سيطرته على الطريق التجارية بين الموانئ الجنوبية عبر بلاد بابل على طول نهر دجلة [٢].

كما كانت دوافع تنظيم الحركات المناهضة من قبل مصر ضد النفوذ الآشوري في كل من فلسطين وجنوبي سورية منذ عهد حكم الملك تجلا بيليزر الثالث حتى عهد السلالة السرجونية لأسباب أقتصادية بالدرجة الأولى فقد شكلت الحملات العسكرية التي قادها تجلا بيليزر الثالث على صعيد الجبهة الغربية في السيطرة على الساحل الفلسطيني الممتد جنوباً حتى المنطقة التي تعرف حالياً بقطاع غزة وسيطرة الآشوريين على الطرق التجارية وتدخلهم بالتجارة المصرية من خلال وضع القيود على تصدير الخشب إلى مصروفلسطين من لبنان تهديداً لمصالح مصر الخارجية [٣].

(١) الحلو، عبد الله، سوريا القديمة التاريخ العام من أقدم الازمنة المعروفة حتى اوائل العصر البيزنطي (دمشق: مطبعة الأديب، ٢٠٠٤)، ص ص ٦٧٠- ٦٨٠.

(٢) ساكز، عظمة بابل، ص ١٢٢.

(٣) ساكز، قوة آشور، ص ص ١٣٤-١٣٥؛ ساكز، عظمة بابل، ص ١٢٨؛ مهران، تاريخ العراق، ص ٣٨٣.

كذلك نجد ان الحملات العسكرية التي قادها الملك سرجون الثاني وخلفاءه ضد الأقاليم والبلدان المجاورة لبلاد آشور فهي الى جانب اهدافها العسكرية في القضاء على أي قوة أوجبهة من شأنها اضعاف او زعزعة أمن المملكة الآشورية كانت لها أهداف اقتصادية سعى الملوك إلى تحقيقها فصراعهم على صعيد الجبهة الشمالية ضد مملكته أورارتو المتمركزة حول منطقة (بحيرة وان) المنافس الرئيس لآشور كانت بهدف السيطرة على الطرق التجارية عبر قوي (كليكيا) والأناضول ولاسيما أن صراع المملكتين (الآشورية والأوراتية)[1] قد تمركز في مناطق غنية بالمواد الطبيعية في شمالي سورية وجنوبي كليكيا والمناطق الواقعة جنوب شرق بحيرة أورميا لاسيما وان سورية كانت ذات أهمية أقتصادية (تجارية) كبيرة بالنسبة للآشوريين كونها كانت تسيطر على الطرق الآشورية نحو البحر المتوسط، في حين كانت تمثل السيطرة على كليكيا الاستحواذ على مصادر الحديد فضلاً عن فتح الطريق المؤدية نحو المراكز اليونانية في آسيا الصغرى[2].

لم تتوقف جهود الملوك الآشوريون عند هذا الحد بل كان لهم دور واضح في دعم النشاط التجاري وتعزيزه مع المدن والبلدان المجاورة من خلال اشراك التجارة في العلاقات التجارية الدولية، وهذا ما نجده في كتابات الملك سرجون الثاني التي أشار فيها الى دوره في فتح العلاقات التجارية بين بلاد آشور ومصر[3] قائلاً:

((فتحت ميناء بلاد مصر المغلق وأدمجت سكان بلاد آشور مع سكان بلاد مصر وجعلتهم يشتغلون سوية بالتجارة))[4]، كما يذكر الملك أسرحدون أعطاءه البابلين أمتيازاً بحرية التجارة غير المقيدة لهم مع جميع انحاء العالم القديم، وهذا ما يدل على ان التجارة البابلية والآشورية قد بدأتا العمل سوية وربما أصبح الاثنان وسطاء في التجارة بين الهند وشرق العراق الى البحر المتوسط، ومن جانب آخر نجد أن الملوك الآشوريون عقدوا معاهدات تبعية (تجارية) لتنظيم أمور التجارة مع الحكام التابعين لهم فالمعاهدة التي عقدها الملك أسرحدون مع بعل حاكم صور توضح أهتمام الملك الآشوري بالتجارة لاسيما التجارة البحرية مع الساحل السوري[5].

رابعاً- الغنائم والجزية:

شهدت بلاد آشور خلال العصر الاشوري الحديث تبدلات اقتصادية ضخمة كانت ناجمة عن الكميات الكبيرة التي تم الحصول عليها من الغنائم والجزية التي كانت تفرض على البلدان التابعة لهم

(١) ساكز، المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٢) الحلو، سوريا القديمة، ص ص ٦٧٣- ٦٧٥؛ عقراوي، عماد شاكر أحمد، مملكة أورارتو (٨٨٠- ٧١٤ق. م) دراسة تأريخية حضارية (دمشق: دار تموز، ٢٠١٥)، ص ص ١٣٢- ١٣٣.

(٣) الأحمد، «التجارة»، مج ١، ص ١٩٥.

(٤) الهاشمي، «التجارة»، ج٢، ص ٢١٣.

(٥) الأحمد، « التجارة»، مج ١، ص ص ١٩٥-١٩٦.

[1]، وقد عدت الغنائم والجزية مصدراً من مصادر الاقتصاد في العصر الاشوري الحديث إذ استفاد الملوك الاشوريون منها، وكان من أهمها الذهب والفضة الذي فرض على ملوك وحكام البلدان الخاضعة لهم والمتمردة ضدهم وكان نوع الجزية التي يفرضونها على هذه الاراضي تشير الى ثرواتهم وطبيعة نشاطاتهم التجارية، تذكر حوليات الملك آشور ناصر بال الثاني حصوله على جزية تألفت من ١٠ تالينت من الذهب و١٠٠٠ تالينت من الفضة، كما ورد أيضاً في حوليات الملك تجلاتبليزر الثالث حصوله على جزية وردت فيها الارقام التالية ١٠ تالينت من الذهب، و١٠٠٠ تالينت من الفضة، وحصل الملك سرجون الثاني على جزية من منطقة موشكي تألفت من ١٨ تالينت من الذهب، و٢١٠٠ تالينت من الفضة، كما تسلم الملك سنحاريب من حزميا ملك اليهود، حوالي٣٠ تالينت من الذهب و٨٠٠ تالينت من الفضة، وتسلم أسرحدون من حزقيال ١٠ منا من الذهب، و١٠٠٠ قطعة من الاحجار الكريمة [2]، وقد تنوعت الجزية التي فرضها الملوك الآشوريين على المناطق والاقاليم التابعة للدولة الاشورية ففضلاً عن الذهب والفضة والبرونز والقصدير كانت مثل هذه الجزية تحتوي على المر وهذا يشير الى وجود علاقات تجارية مع بلاد العرب التي كانت تعتبر المصدر الاقرب للمر، وكذلك ذكر الجمل ذو السنام الواحد يشير الى وجود علاقات مع الصحراء العربية، وكذلك العاج والأثاث المرصع بالعاج (من كليكيا) يشير الى وجود علاقات مع سوريا والمدن الفينيقية وغيرها من انواع الجزية كالمواشي والحبوب[3]، هذا فقد استلم توكلتي-ننورتا الثاني الخيل بالألاف بشكل جزية من المناطق الشمالية وبذلك بدأ استخدام الفرسان على نطاق واسع في الجيش الاشوري [4].

وفي عهد الملك آشور ناصر بال الثاني استلم الجزية من مملكة (بيت – أديني) الواقعة على منعطف نهر الفرات نحو كركميش، استلم العربات والخيول، وهذة كانت اول مرة يشار بها الى الخيول في المناطق الخاضعة لسيطرة الآراميين إذ يبدوا ان الجماعات الآرامية في منطقة في بلاد الرافدين لم تعد بدواً رحلاً شبه مستقرين ويشتغلون بالتجارة بل انهم اصبحو قادرين على انشاء ممالك متطورة ومستقرة ذات قوات عسكرية منظمة [5]، كما ارسلت ولاية خندانو الى الملك اشور ناصر بال الثاني جزية تتألف من العقيق محملة على ظهر جملين [6].

(١) دياكوف، ف وس. كوفاليف، الحضارات القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي (دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٠)، ج١، ص ١٨٦.

(٢) الجادر، وليد، «صناعة التعدين» حضارة العراق (بغداد: ١٩٨٥)، ج٢، ص ٢٥١.

(٣) ساكز، قوة آشور، ص ١٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ص١١٠.

(٦) جماعة من علماء السوفيت، العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، تر: سليم طه التكريتي،

وكان الملك شلمناصر الثالث قد تسلم جزية من بلاد سوخي تتألف من مواد ذهبية وصمغ نباتي من (جلعاد) هذا الاقليم الذي كانت تمر به طرق القوافل المباشرة التي تربط الاراميين في الفرات مع جنوبي الساحل الشرقي من البحر الابيض المتوسط[١]، وحصل شلمناصر الثالث أيضاً على الابل من منطقة كلزان في الاجزاء الشرقية من بلاد ايران كجزية [٢].

وقد فرض الملك تجلات بيليزر الثالث على المنطقة الواقعة جنوبي بحر قزوين جزية مقدارها خمسة عشر طناً من النحاس وتسعة اطنان من حجر اللازورد [٣].

وحصل الملك سرجون الثاني على غنائم من مدينة موصاصير وهي جزء من اورارتو، الواقعة الى الشمال الغربي من رواندیز والتي كانت المقرالرئيسي لاله اوراريت (خالدي) حيث كان يتوج ملك اورارتو عادة، فقد كانت قداسة موصاصير وارتباطها بالملك جعلها كنزاً وطنياً ضخماً، فقد عمد سرجون الى أخذ الغنائم من المعادن الثمينة والاحجار الكريمة والأثاث المطعم بالذهب والفضة والاواني الذهبية والفضية والبرونزية وجميع انواع الاسلحة المؤلفة من المعادن الثمينة والتماثيل والحلي [٤].

وتسلم الملك سنحاريب قطعة كبيرة من حجر اللازورد من اليهود وهذة الاحجار كانت نتيجة للتبادل التجاري لليهود مع مناطق أسيا الصغرى [٥].

وفرض الملك آشور بانيبال على مدينة جزيرة ارواد الفينيقية دفع جزية سنوية تتألف من نوعين من الأصواف المصبوغة باللون الارجواني (اي تاكلتو) و(ارغماتو) وذلك لأشتهار المدن الفينيقية بصناعة الاصواف المصبوغة نتيجة لوجود هذه الصبغة الارجوانية فيها [٦].

خامساً – الضرائـــب:

مثلت الضرائب مصدراً مهماً من مصادر الدولة الاقتصادية في العصر الاشوري الحديث لايمكن الاستغناء عنه باي حال من الاحوال، وقد عكست الضرائب التي فرضتها المملكة الآشورية على انشطة رعاياها التجارية في العصر الآشوري الحديث مدى التنظيم الاقتصادي والاداري الدقيقين اللذين اتبعا في فرضها وآليه جمعها وتقدير نسبها، وعلى الرغم من عدم وجود نص قانوني أو مرسوم ملكي آشوري صريح يبين انواعها والنسب المفروضة على دافعيها، لكن في الوقت نفسه هناك بعض الأشارات النصية من هذا العصر لعقود ووثائق ادارية ورسائل ملكية تبين ان هناك نوع من الضرائب فرضتها المملكة على الانشطة التجارية هي ضريبة (مِكسُ) التي كانت

ط٢ (بغداد: دار الثؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦)، ص ٤١١.

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠٥.

(٤) ساكز، قوة آشور، ص١٣٩؛ عقراوي، مملكة أورارتو. . . ، ص ص ١٢٩– ١٣١.

(٥) جماعة من علماء السوفيت، العراق القديم. . . ، ص ٣٩٨.

(٦) جماعة من علماء السوفيت، العراق القديم. . . ، ص ٣٩٦.

تفرض في بادئ الامر على منتجات الحقول الزراعية، ثم فرضت على السلع التجارية، الا ان ما يهمنا هو استخدام هذه الضريبة في بلاد آشور خلال الفترات (القرن الثامن والسابع قبل الميلاد) إذ ان أستخدام هذه الضريبة اخذ يقتصر على موردي السلع التجارية ومصدريها [1]، ولعل خير مثال على ذلك ماورد في رسالة الموظف الآشوري المسؤول على الموانئ اللبنانية في صور وصيدا قُردِي - آشور - لامُر إلى الملك تجلاتبليزر الثالث والتي نصت في جانب منها على:((فرضت ضريبة على كل واحد ينزل خشباً وعينت جباة الضرائب على كل أرصفة جبل لبنان ويتولوا الحراسة. عينت جابي الضرائب على أولئك الذين ينزلون إلى الأرصفة التي في صيدا إلا أن الصيديين اختطفوه وعليه أرسلت اتوءُ إلى جبل لبنان وجعلوا الناس يرتعبون بعد ذلك أرسلوا إلي وجلبوا (ارجعوا) جابي الضرائب إلى صيدا)) [2].

وهذا يوضح لنا ان مكس ضريبة تجارية كانت تفرض على موردي الخشب او العاملين عليها بدليل اقتران ذكرهم مع احد معابر المدن وهي الموانى التي كانت مركزاً مهماً لاستيراد السلع وتصديرها، وهذا ما يتوضح لنا ايضاً من خلال معاهدة الملك أسرحدون مع تابعة بعل ملك صور التي وضحت مدى عناية الملوك الآشوريين بالتجارة البحرية على طول سواحل بلاد الشام فقد ابقى على تجارة الفينيقين البحرية ولكن بالمقابل فرض عليهم دفع ضريبة مكس كما كانت في السابق حسب ادعائه، إذ نص احد بنود هذه المعاهدة على ما يأتي:((تلك الموانئ والطرق التجارية التي عين عليها أسرحدون ملك بلاد آشور خادمه بعل من مدينة عكا ومدينة دور وإلى كل مناطق بلاد فلسطين وكل المدن ضمن السيادة الآشورية على الساحل البحري وإلى مدينة جبيل في بلاد لبنان، كل المدن التي في الجبال، كل هذه مدن أسر حدون ملك بلاد آشور، بعل (يمكن ان يدخل تلك) المدن واستناداً لمعاهدة أسرحدون ملك بلاد آشور فقد سمح لسكان مدينة صور ان يبقوا في سفنهم، وكل هؤلاء الذين يدخلون إلى المدن التي [. . .] مدنه، قراه، مؤانيه التجارية التي [. . .] لجمع (مكس) وكل المناطق في ضواحيهم وسيدفعون (مكس) كما في الماضي)) [3].

ومن الملاحظ ان هذه المعاهدة أشارت ايضاً إلى ذكر ضريبة مكس على الطرق التجارية وهذا يشير إلى ان هذه الضريبة لم تكن مفروضة على الانشطة التجارية البحرية فحسب بل على البرية ايضاً.

دور الملوك الاشوريين في دعم الاقتصاد الآشوري:

(١) جاسم، صفوان سامي سعيد، التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل: كلية الآداب، ٢٠٠٦)، ص ١٠٩.

(٢) ساكز، قوة اشور، ص ٢٠٣؛ ساكز، عظمة آشور، ص ٢٥٨.

(٣) سليمان، «العلاقات السياسية الخارجية»، ج٢، ص ص١٤٥ - ١٤٧.

أولى الملوك الآشوريين أهتماماً كبيراً بالاقتصاد وقد اشاروا إلى دورهم البارز في دعم وتعزيزالقوى الاقتصادية لبلدهم من خلال تثبيت الاسعار والمحافظة على القيمة الشرائية للمواد الغذائية لتصبح متوفرة لجميع مكونات الشعب الأشوري، وهذا ما ظهر واضحاً في كتابات بعض ملوك السلالة السرجونية، فالملك سرجون الثاني في صدى حديثه عن سياسته لتحسين الزراعة في بلاده علق على نتائج ذلك بخفض اسعار الزيت والسمسم إذ قال:((لكل بلاد آشور الواسعة، الطعام المفضل لاشباع واحياء الروح (القلب)، المناسب لحكمي امطار الآلهة جعلت الوفرة لاختيار الاشياء، للإنقاذ من الحاجة والجوع، و(حتى) المتسول لم يعد مضطرا لسلب الخمر (للشرب). . . ؛ ليس هناك شحة (توقف او انقطاع) في الحبوب التي يتمناها القلب، الزيت الوفير الذي يستخدم لاراحة عضلات الرجال لم يعد مكلفا في بلادي، السمسم بيع (بنفس) سعر (بقية) الحبوب)) [1].

وفي موضع آخر من نصوصه علق على تأثير غنائم الحروب في المستوى العام للأسعار في بلاد آشور إذ يقول بعد تعداده للثروة المعدنية التي جلبها من حملاته العسكرية: ((الممتلكات التي لا حصر لها والتي لم يتسلم آبائي مثلها. كدستها في مدينة دور – شروكين وفي بلاد آشور اشترى الناس (الأشياء) بسعر الفضة كما بالنحاس)) [2].

كما علق الملك آشور بانيبال بعد أن أخذ أعداداً ضخمة من الجمال كغنائم حرب من القبائل العربية ووزعها على سكان بلاد آشور في تأثير ذلك على أسعار الجمال في بلاده إذ يقول في أحد نصوصه:

((وزعت الجمال كالأغنام على سكان بلاد آشور. وفي بلادي بيعت الجمال في الأسواق بسعر ١ شيقل او نصف شيقل من الفضة. . .)) [3].

الاستنتاجات:

١ – كان لعامل المناخ دور كبير في جعل الاقتصاد الأساس في بلاد آشور اقتصاداً زراعياً وأسهم النقص الذي تعانيه الدولة الآشورية في المواد الضرورية كالأخشاب والمعادن من الذهب والفضة ولاسيما بعد التطور الذي شهدته في عصرها الحديث بأن تعتمد على التجارة في جلب تلك الموارد من المناطق الموجودة فيها.

٢ – اولى الملوك الاشوريون اهتماماً كبيراً بالزراعة والأراضي الزراعية وذلك من خلال الاهتمام بمشاريع الارواء وحفر القنوات الذي تمثل بالمشروع الذي نظمة الملك سنحاريب في ري الاراضي الزراعية بطريقة هندسية مبتكرة فضلاً عن جلبهم لأهم النباتات والمحاصيل الزراعية من بيئات زراعية مختلفة، وتحسين زراعة بعض المحاصيل التي كانت

(١) ساكز، قوة آشور، ص ٢٣١.

(٢) ساكز، عظمة آشور، ص ٢٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

لها اهمية في اقتصاد بلاد اشور من خلال قيام الملك سرجون الثاني بتحسين زراعة السمسم الامر الذي كان له الاثر في انخفاض اسعار الزيت والسمسم.

٣- اشتهر شعب الدولة آلاشورية بإتقانه لعدة حرف، كان من أهمها صناعة المنسوجات، أما الصناعة الأصعب التي برع بها الحرفي الآشوري فكانت صناعة تشكيل المعادن، وكان جزء من اقتصاد الدولة آلاشورية الحديثة يعتمد على تصدير هذه المعادن، بعد أن يتم تشكيل النحاس والبرونز في صورة سبائك.

٤- شغلت التجارة في بلاد آشور حيزا كبيراً من أهتمام الملوك الآشوريين فدعمها وتنشيطها وتامين طرقها كانت من اولويات الملوك الآشوريون إذ كانت حماية المصالح التجارية وتأمين الطرق التجارية المؤدية الى الموارد الاولية من ابرز اسباب الحملات العسكرية التي قادها الملوك الآشوريون عبر سنوات متعاقبة ضد البلدان والاقاليم المجاورة لبلاد آشور.

٥- ارتكزت الحركة التجارية ونشاطاتها في بلاد آشور آنذاك على وجود الاسواق إذ تشير الادلة النصية والشواهد الاثارية الى اتخاذ الاماكن او الساحات الداخلية والمحيطة ببوابات المدن اماكن للتسوق وعقد الصفقات التجارية من بيع وشراء.

٦- استخدم سكان بلاد آشور في معاملاتهم التجارية خلال العصرالاشوري الحديث الحبوب ومنها الشعير وعدداً من المعادن التي اختلفت في قيمتها الصرفية من نوع إلى اخر مثل الفضة والنحاس والبرونز.

٧- عدت الغنائم والجزية مورداً من موارد الاقتصاد في العصر الاشوري الحديث فقد استفاد الملوك الاشوريون من الغنائم والجزية، التي كانت تفرض على البلدان التابعة لهم في تجارتهم الخارجية' واهمها الذهب، والفضة فضلاً عن المنتوجات الزراعية والصناعية والمعادن والاسلحة والخيول.

المصادر

١- ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم (-وادي الرافدين - بلاد الحثيين - فارس (القاهرة: ١٩٦٣).

٢- الأحمد، سامي سعيد، « الزراعة في العصور التاريخية» موسوعة الموصل الحضارية (جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩١).

٣- _____، «الزراعة والري» حضارة العراق (بغداد: ١٩٨٥)، ج٢.

٤- _____، «التجارة» موسوعة الموصل الحضارية (جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩١)، مج ١.

٥- الاعظمي، محمد طه محمد، « الشوارع والطرقات في القرى والمدن العراقية القديمة»، مجلة كلية الآداب (جامعة بغداد: ٢٠٠٢)، العدد٦٠.

٦. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (بغداد: دار الوراق للنشر، ٢٠٠٩).

٧. _____، «دراسة في النباتات المذكورة في المصادر المسمارية»، مجلة سومر (بغداد: ١٩٥٣) العدد ٩.

٨. باقر، طه، فاضل عبد الواحد، وعامر سليمان، تاريخ العراق القديم (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠)، ج٢.

٩. برستد، جيمس هنري، انتصار الحضارة، تر: أحمد فخري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١).

١٠. بورت، ديلا. ل، بلاد ما بين النهرين، تر: محرم كمال، ط٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧).

١١. بوستغيث، نيكولاس، حضارة العراق وآثاره، تر: سعيد عبد الرحيم الجلبي (بغداد: ١٩٩١).

١٢. الجادر، وليد، « الصناعة»، موسوعة الموصل الحضارية (جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩١)، مج١.

١٣. _____، الحرف والصناعات في العصر الآشوري المتأخر (بغداد: ١٩٨٢).

١٤. _____، «صناعة التعدين» حضارة العراق (بغداد: ١٩٨٥)، ج٢.

١٥. جاسم، صفوان سامي سعيد، ملكية الأراضي في العصور الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل: كلية الآداب، ٢٠٠١).

١٦. _____، التجارة في بلاد آشورخلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل: كلية الآداب، ٢٠٠٦).

١٧. جماعة من علماء السوفيت، العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، تر: سليم طه التكريتي، ط٢ (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦).

١٨. حمود، حسين ظاهر، «وحدة ثقافات عصور ما قبل التاريخ في بلاد الرافدين»، وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠١م).

١٩. الحلو، عبد الله، سوريا القديمة التاريخ العام من أقدم الازمنة المعروفة حتى اوائل العصر البيزنطي (دمشق: مطبعة الأديب، ٢٠٠٤).

٢٠. الدباغ، تقي، «البيئة الطبيعية والانسان» حضارة العراق (بغداد: ١٩٨٥).

٢١. دلو، برهان الدين، حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي-الاجتماعي-الثقافي والسياسي (بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٩).

٢٢. دياكوف، ف وس. كوفاليف، الحضارات القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي (دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٠)، ج١.

٢٣. ديورانت، ول، قصة الحضارة، تر: محمد بدران (الاسكندرية: مكتبة الاسكندرية، ٢٠٠٢)، ج٢.

٢٤. ساكز، هاري، قوة آشور، تر: عامر سليمان، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٩٩٩).

٢٥. _____، عظمة بابل، تر: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو (دمشق: دار ومؤسسة

رسلان، ٢٠١١).

٢٦. _____، عظمة آشور، تر: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو (دمشق: دار ومؤسسة رسلان، ٢٠٠٨).

٢٧. سفر، فؤاد، « أعمال الارواء التي قام بها سنحاريب »، مجلة سومر، مجلد ٣، ج١ (بغداد: ١٩٤٧).

٢٨. سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم موجز التاريخ السياسي (الموصل: دار ابن الاثير للطباعة والنشر، ١٩٩٢).

٢٩. _____، «العلاقات السياسية الخارجية «حضارة العراق (بغداد: ١٩٨٥)، ج٢.

٣٠. _____، « وحدة حضارة بلاد الرافدين في النظم الاقتصادية والقانونية »، وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠١).

٣١. سوسة، أحمد، مشروع سنحاريب لإرواء منطقة نينوى (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٩٦٢).

٣٢. شبام كير، إيفا كانجيك، تاريخ الآشوريين القديم، تر: فاروق أسماعيل (دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر، ٢٠٠٨).

٣٣. طه، منير يوسف، « النشاطات الآشورية في الخليج العربي « موسوعة الموصل الحضارية (جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩١)، مج١.

٣٤. عقراوي، عماد شاكر أحمد، مملكة أورارتو (٨٨٠- ٧١٤ق. م) دراسة تأريخية حضارية (دمشق: دار تموز، ٢٠١٥).

٣٥. الفتلاوي، احمد حبيب سنيد، أسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة واسط: كلية الآداب، ٢٠٠٦).

٣٦. متولي، نواله، «مسلة آشورية من نينوى»، مجلة سومر، (بغداد: ١٩٩٩-٢٠٠٠)، العدد ٥٠.

٣٧. محمد، نبيل نور الدين حسين، الحملات العسكرية الآشورية دوافعها ونتائجها في ضوء النصوص المسمارية المنشورة، أطروحة دكتوراه (جامعة الموصل: كلية الآداب، ٢٠٠٦).

٣٨. مهران، محمد بيومي، تاريخ العراق القديم (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠).

٣٩. المياح، علي محمد، « الموارد الاقتصادية ووحدة حضارة بلاد الرافدين »، وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠١).

٤٠. الهاشمي، رضا جواد، « التجارة « حضارة العراق (بغداد: ١٩٨٥)، ج٢.

٤١. الهلالي، ابراهيم محمد علي، علاقة بلاد الرافدين بالساحل الفينيقي من العصر الآشوري الحديث حتى نهاية العصر الكلداني (٩١١-٥٣٩ ق. م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة ام القرى: ٢٠١٣).

٤٢. ياسمين عبد الكريم محمد، الأثاث في العصر الآشوري الحديث ٩١١-٦١٢ ق. م، رسالة ماجستير

غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٤)

٤٣. يعقوب، دانيه جمال الدين، سياسية الدولة الاشورية الحديثة في بلاد الشام ما بين ٩١١-٦١٠ ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة دمشق: كلية الآداب والعلوم الانسانية، ٢٠٠٩).

44. Graysan, A. K, Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC,(London:1991), Vol 2.